العقل القبْلي في الشعر العراقي السبعيني

فاطمة سعد دواس
fatmtdktwrt23@gmail.com
أ.د.علي هاشم طلاب
ali14905@mu.edu.iq
جامعة المثنى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

يعد الفكر القبْلي وما يتضمنه من ارتدادات زمنية فكراً معرفياً ، إذ تكمن أهميته الابستمولوجية بما يقوم به العقل من عمليات ذهنية استرجاعية ، يتداخل فيها الزمن الماضي مع الزمن الحاضر ، فمن الزمن الماضي يستعيد الذكريات التي سبق ن أدركها العقل واختزنها، ومن الزمن الحاضر يظهر الدور الذي تقوم به العمليات العقلية بربط الأحداث الآنية مع السابق، وقد جاء الفكر القبْلي في الشعر العراقي السبعيني على محورين هما: الارتداد إلى الفكر القبْلي وانقطاعه عن الحاضر، وجدلية ارتداد الفكر القبلي إلى الآني، بعدِّه ممتد معه.

الكلمات المفتاحية: الفكر القبلي، الابستمولوجيا ، الزمن الماضي ، الزمن الحاضر، الذكريات.

The tribal mind in Iraqi poetry in the seventies

Researcher: Fatima Saad Dawas
Prof. Dr. Ali Hashem Talab
Al-Muthanna University \ College of Education for Human Sciences

Abstract

Before thought and the temporal rebounds it contains are cognitive thought, as its epistemological importance lies in the mental processes carried out by the mind, in which the past time overlaps with the present. From the past time, it recovers the memories that the mind has already realized, and from the present time, the role played by mental processes appears on the condition of the events of the present time with what I remember from the previous time. Before thought in the seventuagint Iraqi poetry came on two axes, namely: reversion to the phephil thought and its interruption from the present time and the reversion to before thought with the following as extended with it .

Keywords :Before Thought,Epistology, Past Time, Present Time, Memories.

العقل القبْلي في الشعر العراقي السبعيني

إنّ الممارسات الابستمولوجية توجه اهتماماً كبيراً بعمليات التفكير؛ لأنّها أساس المعرفة العلمية، فالتفكير هو((أعلى مراتب النشاط الذهني))[١]، وهو خاصية جوهرية للإنسان تميز به عن سائر المخلوقات الأخرى، وإنّ العلاقة بين الفكر والعقل هي علاقة تكاملية ، فمن دونه لا تتم عمليات التفكير ومن ثم لا يمكن الوصول إلى المعرفة، وبذلك يمكن عدّه من المرتكزات الأبستمولوجية بوصفه ((مركزاً للإدراك، وموجهاً للسلوك، ومحدّداً للمعرفة))[٢]، وبما أنه قاسم مشترك لدى جميع البشر لهذا يرى (ديكارت) أنّ العقل ((هو أعدل الأشياء توزيعاً بين الناس))[٣]، وقد ربط الوعي بالتفكير العقلي، حيث رأى أنّ التفكر صفة من صفات النفس لا تنفصل عنها، فالإنسان لا ينقطع عن التفكير إلاّ إذا انقطع عن الوجود انقطاعاً خالصاً[٤].

وقد عرّف الإبستمولوجيون عقل الذات على أنّه مختبر الدراسات الإنسانية وهو يوازي تماماً المختبرات ذات الدراسات المنطقية، وقد آمنوا بجود علاقتين أحدهما قبلية والأخرى بعدية يرتبطان بالعمليات الذهنية التي يقوم بها العقل [٥]، والتفكير القبْلي يتم بارتدادات التفكير إلى الزمن الماضي.

الارتداد إلى الفكر القبْلي:

يمثل الارتداد باتجاه الماضي فكراً معرفياً يرتبط بالجوانب القبْلية التي لها أسٌّ معرفي يرتكز على الذاكرة التي ((هي إحدى الوسائل الأبستيمولوجية لتصور العلاقات والروابط الجديدة، فتذكر الصور الماضية المنبثقة عن الذاكرة هي معرفة مباشرة))[٦]، فالماضي هو الفكر الذي يستحضره الإنسان معرفياً، متى ما شعر إلى الحاجة بجوانب ابستيمولوجية تكون سبباً لسكون الذات ودعتها، ولا يتمُّ التفكير القبلي الذي يقوم به الإنسان إلاّ بالعمليات الاسترجاعية بحضور الذاكرة، وبما أن الذاكرة جزء من تاريخ حي كامن ومختزن في العقل الإنساني[٧]؛ لهذا كانت حاضرة في وعي الشاعر فيصل جاسم:

أنا الطفلُ
هذا الملاك البرئ الذي لم يعد خائفاً
ظل مستلقياً في دمي...
حتى إذا ما اطمأنت إلى نفسهِ
غادر الطفل في دمهِ المطمئنِ
تبعثر في العمرِ[٨]

يتمظهر الفكر القبلي في النص بشكل واضح بالارتداد إلى زمن الطفولة (أنا الطفل)، وهذا يعني أن الماضوية، هي أساس بناء الفكر الابستمولوجي، وأساس وجوده وبناء معطياته عند الشاعر، إذ حاول الحديث عن هذا الأساس بتكرار متبنيات الماضي(أنا الطفل، هذا الملاك البريء، ظل مستلقياً في دمي، غادر الطفل، تبعثر العمر)، فدلالة القول تتجه نحو الماضي بشكل واضح، بل يوغل في البقاء في ضمن هذه المنظومة، والحديث في النص يوحي إنّ هذا الطفل الصغير عاش في داخل الإنسان، وأنه بحاجة ماسة لوجوده، فمع كلّ تقدم بالزمن يحاول الشاعر اللوذ بالفكر القبلي؛ لأن عالم الطفولة هو الذي يوفر الراحة النفسية مع زمن آني لربّما لا يريد وجوده أو لا يتمنى العيش فيه، فالزمن الماضي بالنسبة للشاعر يرتبط بمرحلة الطفولة التي ظل متمسكاً بها والعيش في جوانحها ولا يريد أن يغادرها، لما تتسم به مرحلة الطفولة من سمات البراءة والنقاء والطمأنينة وعدم الخوف بوصفها حياة ملائكية، لكنه عندما غادرها تغيرت أيامه فتبعثر به العمر. ولابد من الاعتراف أنّ مرحلة الطفولة تبقى دوماً حية، لهذا رأى باشلار ((بديمومة نواة طفولة في الروح الإنسانية)) [٩]، وهذا ما جعل الذات تتمسك بعالم الطفولة بما تعكسه من أبعاد نفسية مختزنة في عقله الباطن.

وبما أن الحديث عن الطفولة هو حديث عن فكر قبلي، وهو في حقيقته فكر ابستمولوجي يبين البنية المعرفية للزمن الماضي:

بنيت حول بيتي القلاع

لكنني

في غفلة منك

رأيت جنتي

طفلاً يتيماً، راكضاً

يلمع فوق رأسه الشراعْ [١٠]

يحيل الخطاب الذهن إلى الوراء باسترجاعات الزمن الماضي في معانقته لمرحلة الطفولة، إذ يرى الشاعر فاروق يوسف أن الطفولة جنة في الأرض؛ لأن فيها ((معنى البراءة والصفاء واللطف والإنسانية التي لا تعرف الخبث أو هي المعنى الأصدق لجمال الإنسانية في أنقى صورها))[١١]، فمقدار روعتها بمقدار روعة الذكريات الجميلة المختزنة في العقل الباطن، وهذا يعني أنّ الارتداد في حقيقته هو ارتداد ابستمولوجي؛ لأن الشاعر يعي أن الماضي أو الطفولة هي الجنة الحقيقية، والحاضر يقينياً سيكون بالضد من ذلك؛ لأن من يهرب للبحث عن الجنة لابدّ من أنّه عاش حياة النار، وإنْ لم تكن بشكل واقعي وحقيقي؛ لهذا نجده يحاول الإمساك بمرحلة الطفولة ليتخذ منها كياناً يشرع فيه بالأمنيات والرغبات؛ لأن الأطفال يعيشون عالمهم الخاص في بناء جنتهم في الدنيا، ويبدوا في النص إنّ الطفولة وتداعياتها هيمنت على وعي

الشاعر، لذلك ظلّت عالقة في ذهنه، فكانت علاقة مرحلة الطفولة مع الذات الشاعرة علاقة متجذرة في النفس الإنسانية وحاجتها إلى الحياة السعيدة والعيش الرغيد، وحين لا يتحقق شيء منها تبقى أملاً مهيمناً في وعيه.

والأمر نفسه يمكن أن يقال عندما يلجأ الشاعر إلى البحث في الزمن الماضي وارتباطه بالمكان، فهما آلية من آليات البحث الأبستمولوجي((فإنّ الزمان والمكان مصدران معرفيان، يمكن أنْ نستمد منهما قبْلياً معارف تأليفية متنوعة)) [١٢]، وعليه فإنّهما يخضعان لمتطلبات المعرفة القبْلية، فلا يمكن تصور مكان من دون زمان، فحضور المكان بديهية يحتمها العقل الإنساني عند استحضار الزمن :

- أيها الطفلُ عد للشوارعِ

فالبيتُ سجنٌ كبير

ينام الشيوخُ به ويعدّون سوءاتهم

والشوارع عارية يستباح بها الضوء

عد للشوارع يا طفل

فالبيت سجنْ...[١٣]

تأتي أهمية المكان في الدراسات الأبستمولوجية من إنّه مكون رئيس يدخل مع الزمن حيز المقولات القبلية، فحضوره لا ينفصل عن الوعي العقلي لكونه ((يكشف العلاقة بينه وبين المتمكن فيه))[١٤]، فما إنْ نجد حديثاً عن المكان سنجد له ارتباطاً بما ينقله الذهن عن وعي الذات به، وهذا ما نجده عند الشاعر مرشد الزبيدي حينما استند في عودة ذاكرته إلى بيت الطفولة معتمداً على راهنية الذكريات المرتبطة به؛ لأن بيت الطفولة من الأماكن التي لها تأثير قابع في الذاكرة، فعلاقة الإنسان به علاقة جدلية، علاقة فعل ورد فعل، مرتبط بدواخل النفس ومشاعرها تجاه المكان الذي عاشت فيه؛ لذلك تظل خصوصية بيت الطفولة ذات تأثير على ذاكرة الإنسان مهما ابتعد عنه، فإنّه يمثل ((ركننا في العالم، إنه كما قيل مراراً كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى))[١٥]، وبما أنّ الارتباط بين الزمن الماضي والأماكن ارتباط جوهري؛ لذلك عند استرجاع الزمن القديم تُسترجع معه الأماكن المرتبط بهذا الزمن؛ لهذا يرى غاستون باشلار((أنه في بعض الأحيان نعتقد أن نعرف أنفسنا من خلال الزمن، في حين أن كل ما نعرفه هو تتابع تثبيتات في أماكن استقرار الكائن الإنساني الذي يرفض الذوبان، والذي يود حتى في الماضي، حين يبدأ البحث عن أحداث سابقة أن يمسك بحركة الزمن، إن المكان في مقصوراته المغلقة التي لا حصر لها ، يحتوي على الزمن مكثفاً))[١٦] ، فالبيت له أثرٌ في وعي للشاعر ومداركه الحسية، فنظر له على إنّه سجن كبير وهذا يعود إلى تفاعل الذات مع الأثر النفسي الذي يولده المكان وساكنيه، فقد ارتبط الفكر الذهني بالمشاعر التي يولدها

البيت وما جرى فيه من صراعات وآلام وأحزان، فالأصل أنّ الإنسان يألف الأماكن التي ترتبط بالذوات ومعيشتهم، لكن الذات مقتت ذلك وبدأت في البحث عن أماكن أخرى تجد فيها ذاتها، فعلاقة الإنسان ببيت الطفولة تنطوي على أمور تترسخ في العقل تجاه هذا المكان، فهناك بيوت عند تذكرها تولد شعور الراحة والطمأنينة والألفة والأمان عند المرء، وفي المقابل هناك بيوت لمجرد تذكرها يتولد الإحساس بالألم والحزن لارتباطها بحوادث رافقتها؛ لأن المكان ((مرآة ترى فيها الذات صورتها، فالذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها، ولكنها تبسط ذاتها خارج هذه الحدود لتصبغ كل ما حولها بصبغتها))[١٧]، وهذه المعطيات تحدد مدى قوة علاقة الزمن الماضي بالحاضر الآني، فمشاعر الألم التي رافقت ذكريات بيت الطفولة تبرز ارتباط ثيمات الزمن الماضي المؤلم بكل أبعاده بما يعتمل في نفس الشاعر من انعدام الراحة مما ولد لديه الرغبة في الهرب من البيت إلى الشارع الذي أصبح هو طريق الملاذ والخلاص، فعلى الرغم من أن الشارع مكان عاري يستباح به الضوء إلاّ أنّ الشاعر يدعو إليه؛ لأن الطفولة ضاقت من مثول صورة البيت التي اقترنت بصورة السجن، فالبيت بالنسبة لعالم الطفولة يمثل مكاناً مغلقاً؛ لأنه يعزله عن العالم الخارجي؛ لذلك الشاعر لم يتوانَ أنْ يقرنه بالسجن بوصفه مكاناً للشيوخ، وممارسة سوآتهم، ويبدو أن وراء ذلك أنساق معرفية مضمرة، لعل من بينها ماكان يحيل من الحصول على الأمان والطمأنينة، فهو بسبب ذلك يدعو إلى العودة إلى الشارع، ولا شكّ أنّ الشارع لا يمثل مكاناً آمناً إلاّ أنّه يرتبط بما يدور في الوعي الذهني بهذا المكان وصدى التذكر لزمن الطفولة الجميل، فالشارع بالنسبة لذات الطفولة يمثل محطة الانفتاح والانطلاقة الأولى للتعرف على العالم الخارجي.

وإذا كان الفكر القبْلي يخضع لوعي الذات بالذكريات الماضية، فهو بلا شكّ لا يُغيب الأماكن المقترنة بها؛ لأنّها تبقى راسخة في الذاكرة، فيُولّد هذا الارتباط علاقة حميمة تصل إلى حدّ استرجاعها بكل تفاصيلهاوما تحمله من ذكريات :

مرّ بي صاحبي من هنا..

قال أعرفُ هذي الطريق

وأعرفُ هذي الحدائقَ

ياما صحبتُ طفولةَ روحي وسِرّنا إليها

اتخذنا مجلساً واحداً..

تحت ظلِّ شجيراتها الوافرةْ[١٨]

يتجلى البعد الابستمولوجي في النص بحديث النفس الداخلي (المونولوج) الذي يحاور فيه الشاعر عبد المطلب ما يطرأ على الذاكرة من فكر قبْلي يتعلق بأيام الطفولة ليبيّن أنّ الارتداد نحو الماضي كان ذاتياً داخل العقل الباطن، وممّا لا خلاف فيه إنّ الحوار الداخلي كشف عمّا

يدور في أعماق النفس الإنسانية من أفكار وخفايا، فهو حوار قائم على العقل يرتبط بوعي الذات الذهني والنفسي، وبما أنّ الذات هي ((بنية معرفية يستطيع الإنسان بواسطتها تكوين معلومات عن ذاته)) [١٩]، وإنّ الحوار المونولوجي الذي استعمله الشاعر يقع تحت مظلة العمليات الذهنية التي تعانق العقل في المقام الأول، حيث إنّ لغة العقل تبدو واضحة بما تعلق باسترجاعه لذكريات الطفولة، فتحكيمه لذكريات الماضي يظهر الدور المركزي للعملية العقلية، إذ ظلّت أماكن الطفولة مخزونة وجدانياً وذهنياً في الذاكرة الإنسانية، وخاصة إذا كانت هذه الأمكنة شاهداً على زمن طفولة بأبعاده السيكولوجية ، فيتحقق الارتداد الماضوي من الأحاسيس التي تتولد عند رؤية أماكن الطفولة وفي الوقت ذاته من تذكر الأشخاص والأشياء التي كانت موجودة بها.

ومثله قول الشاعر جبار الكواز حينما يعود للزمن الماضي، فيسترجع ذكريات أماكن الطفولة التي كانت صدى لأيامه الجميلة :

أنزل في الوحل

وأذكرُ بعضاً من لعب كانت تجري فيه...

هذا الوحلُ...

يتذكر أيامي

يرسمُ في غابات الرملِ سنيني

وصدى لغط الأيام الحبلى بالأحلام[٢٠]

يتوسم الحضور الابستمولوجي في النص من استحضار الشاعر لأيام الطفولة التي خزنتها الذاكرة، وبما أنّ الذاكرة ((هي مستودع الذكريات والمعلومات والمعارف العقلية)) [٢١]، فتداعياتها تحيل الذهن إلى مدارك عقلية مشروطة بمعرفة الذات للواقع المحيط بها، إذ تمثل ذكريات الطفولة إحدى أهم البنى المعرفية التي تتحكم في توجيه فعالية الوعي الذهني لفهم الحاضر؛ لأن ((التذكر عملية ابستمولوجية قصدية إرادية منظمة يكون للعقل الدور الفاعل في استدعاء صور الماضي لتأويله وتنسيقه بمفردات في الزمن الحاضر))[٢٢]، وإن الفكر الارتدادي لذكريات الماضي وعلاقتها بالحاضر يقود إلى ادماج رؤى قصدية لا تخلو من عمليات فكرية تستند إلى صور ذهنية، إذ يقوم النص على تصوير الزمان والمكان بوصفهما يشكلان معرفة قبْلية ، فيمثل الارتداد نحو الطفولة وما يعتريها من أشياء جميلة هدف الذات الباحثة عن الصفاء والسكينة ، فالإنسان بطبيعته يميل إلى الهدوء والراحة، وهذا الأمر يجعله أمام ماضيه وما يحمله من سياقات معرفية يستدعيها العقل، وقد يتبادر للمتلقي حقيقة مفادها إنّ الأصل لا في الوحل وغابات الرمل والأيام الحبلى هي الهدف الرئيس لبيان الأثر المعرفي، لكنه في حقيقة الأمر أثر

العقل المعرفي في الحدث، والعقل هو الذي يحرك الأحداث نحو الماضي بفعل تأثيرات الحاضر أو بفعل تقدم الزمن.

ويستمد الفكر القبلي نسيجه من الذاكرة الجمعية التي تتمثل بالطقوس والتقاليد الشعبية القديمة، والتي لازالت مترسخة في العقل الذهني ولا يمكن الانفكاك منها أو تجاوزها، فتناقلتها الأجيال عبر الأزمان:

احرقي الحرمل في عتبة باب
ولتمشيه ثلاثْ
فلعل الطفل يصحو
من هوى الجنّ
وتأثير الأناثْ(٢٣)

يكشف النص عن نظام مخصوص بقوة الأفكار القبلية السابقة للعقل العلمي، متمثلة بعملية التحصين بالحرمل، وهي من الأفكار والمسلّمات الكامنة منذ القدم في الذهن الإنساني، وقد ارتبطت بالطقوس والمعتقدات التي مارستها البشرية ولازالت تمارسها إلى يومنا هذا، حيث أصبحت الطقوس القديمة التي يتداولها الناس قارة، بل بعضهم يجعلها ابستمولوجية تقوم على ضوابط معرفية سابقة تمارس تأثيرها على عقول الناس، وتتخذ من الحرمل والبخور وسيلة لتحصين الطفل من الجنّ والإناث والعين الحاسدة، مما يجعل له دلالة رمزية طقوسية، وهي دلالة متجذرة في وعي الناس للطهارة ولطرد الشياطين. ولما كانت هذه الأفكار قديمة قدم وعي الإنسان، فهي تمثل أوليات العقل الإنساني البدائي في المعارف السابقة على العلم العقلاني، وإنّ ((المعارف التي أصبحت الآن علمية، كان معظم أسلافها دراسات لا علمية تنصب على الأغراض نفسها التي سبق لها أنْ عرفت، وإن جرى تشذيبها وتحديدها بدقة وإعطائها الصفة العلمية الدقيقة))(٢٤)، فالفكر القبْلي يتضح في استعمال إحراق الحرمل لحماية الطفل، حيث كانت عملية إحراقه تلازم الطقوس القديمة، وذلك لاعتقادهم بأن مادة الحرمل تقوم بطرد الأرواح الشريرة (٢٥)، على أنّ علاقة الحرمل بالتحصين أدّت إلى التفكير والبحث في أهمية الحرمل ومدى تطابقه مع الحقائق العلمية، وعليه فإنّ هذه الطقوس تمثّل جهازاً معرفياً متصلاً بالفكر القبْلي الراسخ، الذي سارت عليه البشرية ومازال تأثيره قابع في الذاكرة، فاستمرار الشاعر جواد الحطاب لخاصية العودة إلى الزمن الماضي والطقوس المرتبطة به، ذلك يعني إعادة بناءات سابقة منذ فجر التاريخ كوّنها الإنسان القديم من الممارسات المرتبطة بالثقافة الشعبية والطقوس الدينية، حتى صارت معطيات يقينية لم يستطع العلم إبطالها.

وقد يتولد التفكير العقلي من الاصطدام بالذكريات المؤلمة، فعلى الرغم من أنّ الذات لا تستطيع الانفكاك من الماضي إلاّ إنّها تسعى جاهدة للخلاص منه عن طريق النسيان ، وبما أنّ النسيان

قد يكون ناتجاً من حالة تلقائية لا دخل للإنسان فيه، أو قد يتعلق بإرادة قصدية، وهذا الأخير يقع تحت وطأة العمليات العقلية:

نغرق في ذاكرة الصمتِ وفي النسيانْ
ونسمي ما صار وما كانْ
حجراً في بغض جدار البيتِ
وفي غرفِ الأشجانُ[٢٦]

يحتاج الإنسان بطبيعته أنْ يذهب صوب الماضي وما عليه من فكر قبْلي له حضور فعلي في خياله الذي استحضره في لحظة زمنية آنية، ومعالجتها ضمن مدركات العقل الإنساني، فالعودة للماضي يعني العودة إلى فكر قار عند الشاعر، فيؤدي ذلك إلى ظهور لغة الصمت بدلاً من البوح أو محاولة أن يتناسى ذلك، لكن ما يظهر من أثر في اللحظة الآنية كان أشد وأقوى، وبذلك فإن الارتداد باتجاه الماضي مَثَّل فكراً معرفياً ارتبط بفكر سابق للحظة الآنية المتمثلة بمحاولة النسيان التي ينشدها الشاعر، فإن انعكاس الشعور المتعلق بالنسيان يتجلى في الذاكرة ، ((فإن النسيان، من دون أن نتذكره لا يستطيع على الإطلاق... فهذا يعني أن الذاكرة هي التي تحفظ النسيان)) [٢٧]، وما لاشكّ فيه أنّ محاولة النسيان لا يمكن أن تنفك عن العمليات العقلية التي يقوم بها الإنسان بقصدية تامة في محاولة الخلاص من الذكريات الحزينة ووقعها المؤلم وعدم العودة إليها؛ لأن حقيقة الحياة ((لا تحيا بالذاكرة فقط، ولكن أيضاً بالنسيان بل أن الحياة نفسها تحتاج إلى النسيان أكثر من التذكر)) [٢٨]، فالإنسان يحتاج للنسيان ليخرج من معاناة الذكرى المريرة التي يعاني منها، وليتمكن من العيش بالطمأنينة في الحياة، وبذلك فإنّ النسيان يخضع للوعي المعرفي الذي يقوم به العقل؛ لأنّه لا يمكن أنْ يكون من دون الابتعاد عن كل ما يذكره بالماضي، وهذا يقودنا إلى التساؤل هل يستطيع الإنسان أن ينسى الذكريات المؤلمة، ولكي نجيب عن هذا السؤال نقف عند قول بول ريكور ((هو أن الصدمة تبقى حتى حين لا يكمن بلوغها ولا الوصول إليها))[٢٩]؛ لأنه ((في ظروف خاصة هناك أجزاء بأكملها من الماضي نعتقد أنها منسية ومفقودة تستطيع أن تعود)) [٣٠] ، فالذات الشاعرة تصمت عنوة عن الماضي محاولة في ذلك غلق نافذة العبور للذكريات القاسية.فالحاجة للنسيان يرجع إلى أمرين أساسيين: الأول يُكمّن في رغبة الذات لتجاوز الماضي القاتم، والأمر الثاني يتمثّل في تعزيز الانتماء للحاضر والرغبة للارتماء في أحضانه.

جدلية ارتداد الفكر القبلي إلى الآني :

أكّد الابستمولوجيون على أهمية الزمان وقيمته المعرفية، فإن العلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر تكشف عن الوعي المعرفي لدى الإنسان وفهمه لهذين الزمنين والتعامل معهما على إنّهما نظام ديناميكي تتفاعل فيه حضور الذكريات عندما تستدعيها الذاكرة مع الزمن الآني:

يا دورة الريح

من أين ذاكرة الطفولة تستريح

الخمر ضلّل خطوتيك

الفقر يملأ راحتيك

فأتركْ على الورقِ الجديدِ

(رماد) يديك[٣١]

ينحو الشاعر زاهر الجيزاني في النص منحاً علمياً يعتمد فيه على الفعل الاسترجاعي للذكريات بوصفها فعلاً معرفياً في تأسيس رؤيته عن الحاضر، حيث قام الشاعر بتدعيم زمنه الآني بالذاكرة التي تمثل معرفة يقينية سابقة، فعلى الرغم من أن ذكريات الماضي تمثل فكراً قبلياً سابقاً للحظة الآنية إلاّ إنّها مع ذلك تبقى ملازمة لسيرورة الحاضر وفاعلة فيه ومؤثرة في بنائه، وبهذا ((فإن الماضي ليس تجاوزاً؛ لأنّ كل طبقة تُعبر بطريقتها عن الكل ولا تلغي الآونة الحاضرة الآونات السابقة))[٣٢]، ويتمثّل ذلك في حديث الشاعر عن مرحلة زمنية عاشها بظروف خاصة، مثّلها بالاستدعاء الذي حصل في مختبر الذات بفعل عمليات عقلية قصدية ترتكز على ذكريات الطفولة، فهي إحدى العمليات المعرفية والفعاليات العقلية المهمة، لكونها تشكل سبيلاً من السبل العقلية المنتجة للمعرفة التي تقرب الفرد للوصول إلى حقيقة الأشياء، فذكريات الماضي مكنت الشاعر من الوصول إلى معرفة جوهرية لطبيعة الحاضر، وبما أن العقل في الدراسة الابستمولوجية هو الذي يقوم بحفظ المعلومات وتخزينها واستدعائها متى ما دعت الحاجة لذلك، بمعنى آخر هو الذي يحدد الطريقة المعرفية التي يتعامل بها مع النص، إذ إنّ ذاكرة الطفولة تتعلق ببنية ذهنية ترتد إلى زمن قبْلي، يدمج صورتين: صورة الطفولة، وصورة الحاضر وبوساطة دمجهما تتكون صورة متخيلة تحكي عن معاناة الذات في الزمنين، ويبدو ذلك في إسقاط الشاعر ظلال الماضي على الحاضر، فالأمور المتعلقة بالذاكرة في النص انطوت على الماضي ليس بصفته ماضياً فقط ، ولكن على فهم وجوده بصفته استمراراً للحاضر، فبيان الفقر والظروف المعدومة لا يختلف عن ظروفه السابقة، وكأنّه جمع بين زمنين على إنّهما زمن واحد، بفاعلية العقل الذي لازم الأمرين: القبلي والآني ووحد بينهما، وتوميء العلاقة المتبادلة بين دورة الريح ودورة العمر في النص إلى فعل ذهني يجلي تعالق الزمن الماضي بالراهن، وعليه فإنّ العقل يمارس وعياً كونياً للماضي ويستكمل ظهوره في الحاضر، بحكم أنّ الزمن الآنوي يحقق ذاته في التتابع الممتد مع الزمن الماضوي، فالحاضر كما يبدو لأول وهلة موجود مع الماضي، ويظهر ذلك في تأكيد الشاعر على فكرة إن دورة الحياة تبدو واحدة بدأت من الماضي ووصلت إلى الحاضر، وهو لا يجد فرقاً في هذه الحركة المستقيمة للحياة، فتساوى لديه الماضي

والحاضر حتى ألقيا بظلالهما على سيكولوجيته التي عكست شعوره بالإحباط واليأس بما يجري حوله، وعليه فإنّ الذاكرة تقوم على بناء الحاضر بوصفه امتداداً لمضمون الماضي.

وقد ترتبط جدلية الماضي بالحاضر عن طريق الذاكرة، فتكشف ما يدور في الذهن من تساؤلات، وبهذا تكون((الذاكرة تعادل الكوجيتو أنا أفكر))[٣٣]؛ لأن الذات في لحظة التذكر تكون مزودة بفكر سابق يعينها على فهم الحاضر، وقد حدّد القدماء وظيفتها في ((معرفة كلّ ما كان وماهو كائن، وما سيكون))[٣٤]، لهذا نجد الشاعر السبعيني استعان بها لفهم دورة الرحيل في هذه الحياة:

أسأل يا سنيني الحزينهْ
ما لي أرى كل شيءْ
يطوي جناحيهِ
ويستأذن ثم يرحلُ
فكل من أحبهُ يرحلُ
وكل من يحبني يرحلْ...
والأيام بي ترحلُ[٣٥]

لا يختلف النص عن سابقه، في إمكانيات التي يستعملها العقل لفهم الوجود ومواجهة تحدياته، انطلاقاً من استرجاع الماضي بوصفه أفقاً لفهم كينونة الحياة، إذ يعتمد الشاعر خزعل الماجدي على الذاكرة التي تعد آلية مهمة في فاعلية العمليات العقلية في تفسير التحولات والتبدلات المرافقة لناموس الحياة، إذ يرصد الامتدادات الزمنية في صور الرحيل المستمرة، فكلّ شيء حوله يطوي جناحه ويرحل، فهو يعي تماماً أنّ العمر رحلة سوف تتبعثر في يوم ما، لكن الأمر يرتبط بما تختزنه الإدراكات العقلية من شريط يمثل الفكر القبّلي الذي يستدعيه الإنسان بفعل الذاكرة التي ((تترجم الانفعال الوجداني إلى استجابة سلوكية؛ حيث إنها تقلب الحركة الذهنية للفعل الإدراكي، فتعيد تركيب موضوع التذكر بالمعاني والصور التي تمثلته بها النفس في السابق))[٣٦]، فعملية التذكر تحقق درجة عالية من المعرفة، بما تقوم به من ممارسة حضورها الآني بفعل الماضي، فالوصول للحظة الآنية يعني المرور بدورة الحياة بشكل كامل، وهذه الدورة التي مداها عمر طويل يختصرها بلحظة معرفية واحدة تكون هي الأصل في تشكل النص وحضور الذات في داخله، إذ يستشعر الشاعر النقص الشديد في الزمن الحاضر، فيضعه موضع المقابلة مع ماضٍ سابق أكثر جمالاً. وفي إطار الرجوع إلى الماضي انبثقت الذكريات بوصفها ممارسةً ابستمولوجيةً تهتم بالفكر القبْلي كتمظهرات معرفية للذهن، وبما أنّ الذكريات يتمُّ تمثيلها على مستوى الإدراك العقلي، فإنّ الحاضر قام على مسارات فكرية منبعثة من وعي الذات عن حقيقة الحياة وكينونة الإنسان وعلاقته بالآخر من خلال الذات العارفة((فتعلق وجود

الأشياء الخارجية على هذه الذات، يرتبط وجودها بعجلة التفكير ومقولاته وقوانينه، بحيث تنظر إلى التفكير في نهاية الأمر على أنه هو الذي يخلق لنا وجود الأشياء)) [٣٧]، فذات الشاعر تستدعي رحيل الأيام وتحولات الزمن المستمرة على وفق نظام الحياة وطبيعتها، فكلّ الأشخاص والأشياء وبما فيها الأيام خاضعة لقانون عدم البقاء، فثيمة الرحيل في عقل الشاعر تتعلق بالمعرفة الإنسانية والإدراك الواعي بمسألة دورة الحياة، ويظهر ذلك واضحاً حينما ربط الشاعر رحيل الأحبة بفكرة جوهرية مفادها إنّ الزمن في تغير مستمر، فكلّ شيء يوحي بالرحيل والزوال، فالتحول والزوال سمة من سمات الحياة في هذه الدنيا، وبهذا ينساق الرحيل مع قوانينها وطبيعتها، فيعدّ الرحيل بمثابة المشهد الذي يتأسس عليه زوال الحياة وتجلياتها المتغيرة باستمرار، فالفعل العقلي يظهر من إدراك الشاعر لتحولات والتغييرات التي أصابت الحياة، فهو يعاين الحاضر بعقل علمي، فمشاهد رحيل الأحبة ورحيل الأيام يمثّل في النص الوعي المتبصر لطبيعة الحياة التي لا تبقى على حال، فكلّ شيء فيها راحل عن هذا الوجود؛ لهذا يشعر الشاعر بحزن مرير على سنينه وأيامه التي رحلت، فالمعرفة الابستمولوجية تتجسد في إدراك الشاعر لرحلة الحياة وفهمه لحقيقتها الباطنية.

وقد لا يكون للذكريات وجود حقيقي على أرض الواقع، فالذاكرة في بعض المرات قد تقدّم لنا الوهم الخادع[٣٨] ، وينسجها الخيال المحض للشاعر ليصل عن طريقها إلى الواقع الحقيقي:

رسم الطفل على الورقةْ
بيتاً سيجه بالأشجارْ
اختط سماءً دون غيوم
لكن الأمطارْ
فاجأت الطفل
وأغرقت الورقةْ[٣٩]

تكمن الأسس الابستمولوجية في النص عن طريق الربط بين الذاكرة والخيال، إذ يقوم الشاعر فاروق يوسف بعملية بناء حاضر متخيل من استرجاع ذكريات الطفولة على وفق وعي يعكس اللحظة الآنية بصورة متجلية لوعي الماضي، فمحاولة الرجوع لذكريات الطفولة ليس القصد منه الإمساك بزمام الماضي بقدر كونه محاولة للوصول لحقيقة الحاضر، فغالباً مايكون ((التذكر ليس إعادة وإنّما هو ولادة الماضي من جديد)) [٤٠]، وقد جعل الشاعر منها بعداً معرفياً يساهم في تشكيل الواقع المتخيل للحاضر، فقد انطلق في تحليله للحاضر انطلاقة ابستمولوجية، احتل فيها الخيال المكوّن محل التوقعات التي ينتظرها المتلقي، حيث كوّن الخيال صور متخيلة لفهم ماهية الحاضر، فالصورة التي رسمها الطفل هي مظهر من مظاهر التأملات الشاردة في الطفولة، فعلى الرغم إنّ المطر عامل أساسي في الخير إلاّ إنّ الشاعر أزال تلك التصورات التي

ترتبط برمزيته، ففاجأت الطفل بأفق غير متوقع ليغرق كل ما بناه ورسمه عن الحاضر، فجاء بصورته على نقيض مع الماضي، وهو بذلك أدرك الأبعاد الحقيقية التي أدّت إلى الاختلاف بينهما، فعملية إغراق الورقة تنقل لنا صورة الحاضر التي أصبحت غير مشابه للماضي، إذ نجد أن الحاضر أصبح هباءً منثوراً لا وجود له، فالبيت الذي رُسم في العقل، لم يكن له وجوداً، بل هو سراب اختطه في مخيلته منذ الصغر، ولم يجده في الكبر، فالحاضر هو المطر أو المعادل الموضوعي له الذي أغرق أحلامه وتطلعاته للوجود، وبما أنّ ((المخيلة هي الدعامة الأساسية للمعرفة))[٤١]، فالشاعر باستعماله المخيلة أعطى الشكل الأصلي للحاضر، حيث قام بتشكيل صورة جديدة قائمة على الخيال؛ لأنّه بالخيال يستطيع أنْ يصور الأشياء المدركة بالحواس والأشياء التي لا تدركها هذه الحواس[٤٢]، وعليه فإنّ استحضار ثيمة الغيمة في مخيلة الشاعر هي جزء من إدراكات العقل الخاضعة لمنظومة افتراضات واعية لحقيقة الماضي المدرك في الذاكرة ، إذ إنّ صورة الغيمة هي صورة ذهنية ناتجة من مثول إدراكات الحاضر، بدليل لم يكن للغيمة وجود حقيقي في اللوحة التي رسمها الطفل إلاّ إنّ العقل استحضر هذه الصورة المتخيلة من إفرازات الواقع المتأزم، وعليه فإنّ استرجاع الشاعر للماضي ينطوي على عملية ذهنية ابستمولوجية متمثلة بالوعي؛ لأنّ ((الوعي يمثل أعمق مستويات التفكير، ليصبح وعياً ابستمولوجياً جمالياً يمهد لعملية التعرف))[٤٣]، يعتمد الوعي في النص على جانبين أحدهما يقوم على توظيف ذاكرة العقل التي((تخضع لقوانين نفسانية تختلف عن تلك التي تخضع لها الذاكرة التجريبية))[٤٤]، والجانب الآخر يقوم على مستوى الخيال الناتج من انعكاسات صورة الوعي للواقع؛ لأن الخيال له القدرة على خلق صور ذهنية لأشياء لا يمكن إدراكها بالحواس. وقد تكون هذه الصور مستمدة من أشياء موجودة في عالم الواقع، أو قد ترتبط بالماضي أو الحاضر أو المستقبل، فالخيال يقدّم نتائجه إلى العقل الذي يستقبله فيفرضه كأنه واقع ملموس، حتى لو كان يعلم أنّه غير ذلك [٤٥]، ومن هنا تتأكد أهمية الخيال الذي استند على استرجاعات الماضي لإدراك ماهية الحاضر التي تمثلت في النص بأحلام الطفولة غير المتحققة.

وقد يعتمد الفكر القبلي أساسه على الارتباط بين الزمنين الماضي والحاضر بما يتمّ تسريبه من الذكريات:

أفجر ذاكرتي المثقوبة

والشفة السفلى

والريح الجارحة المجروحة.

_ أين مغالق هذي الأسرار المفتوحة؟

_ أين مفاتيح الأسرار المغلقة– الأعمار؟[٤٦]

يقدم النص رؤى قائمة على التذكر خاضعة لمرجعية العقل، يرسم الشاعر فيها رحلة العمر في إطار فكري ابستمولوجي يظهر آثار اندثار العمر بفعل عملية الارتداد التي يمارسها الشاعر في نصه الشعري، وهذا الارتداد هو ارتداد عقلي يحتاج إلى تفاعلات عدة ليظهر بهذه الصورة إلى المتلقي، فمزج عقله الآني مع ما يحمله من فكر ومعطيات ماضوية، ليبيّن لنا أنّ كل شيء خطه في العقل وفي الذاكرة سحقه الحاضر بسطوته وعنفوانه، ويتضح ذلك بجلاء حينما جعل الشاعر الذاكرة مثقوبة يتسرب منها الماضي، وبما أنّ مهمة الذاكرة تتركز في((خزن ما يتمّ انتقاءه من مدركات مترابطة ومتفاعلة مع بعضها البعض))[٤٧]، وعليه فإنّ أهمية العمليات العقلية تكمّن في الذاكرة المثقوبة التي فسحت المجال للوصول للماضي واسترجاعه من أجل معرفة الحاضر، حيث أضافت الذاكرة للحاضر أبعاداً جديدة استمدتها من مغاليق وأسرار الماضي، فانتقلت المعطيات الذهنية في رحلة العمر من مستوى الماضي إلى مستوى الوجود الآني، وإنّ هذا المعطى الإدراكي أستطاع أنْ يربط الزمنين مع بعضهما البعض، حين جعل الحاضر يتمكن من الوصول إلى مغاليق الماضي وأسراره الغامضة، وبذلك مثلت الذاكرة المثقوبة في النص الشعري إحدى أشكال الصيرورة المعرفية، فالحاضر هنا ليس إلاّ وجوداً مشتملاً على أسرار الماضي، وبهذا كان الماضي أساساً لمعرفة الحاضر؛ لأنّ الوعي بالذات لن يكون ممكناً من دون الرجوع للماضي السابق، فالتذكر يعدُّ شرطاً ضرورياً لوعي الإنسان ومعرفته بذاته[٤٨]، فالذكريات الماضية تمثّل جزءاً من المدركات العقلية للذات الإنسانية، فاستحضارها قائم على الكشف عن رحلة عمر الإنسان في الحياة، فالشاعر يتأمل عمر الإنسان ويرى أنّه بمثابة الدائرة المغلقة والمنفتحة في الوقت ذاته؛ لأنّ الحاضر سيتحول في اللحظات القادمة إلى ماضي، والماضي باستدعاء الذاكرة له يتحول إلى حاضر، وهكذا فالشاعر وصل إلى إدراك فعّلي لانتقالات عمر الإنسان من اللحظات التي يمرّ بها، فهي جزء من تغيرات الزمن، فمرة تمثّل لحظات مغلقة غامضة ومبهمة لا يستطيع تفسيرها، ومرة تكون واضحة لها تأثير فعال في فتح أسرار الحاضر وفهمه، إذ يدخل الزمنان في عملية تكوين رحلة العمر،((فمن الزمن الماضي نسترجع ما سبق إدراكه، ومن الزمن الحاضر نتمكن من التذكر والتخيل))[٤٩]، وعليه يتميز عمر الإنسان بأنّه يدخل في سياق من التحولات التي تطال محطاته من التطور الفكري كلما تقدم الزمن به .

وقد شغلت ذكريات الطفولة مساحة واسعة من ذاكرة الشاعر السبعيني، فكان لها دوراً في بيان عمق الماضي وتأثيره على الزمن الحاضر، وهذا ما أكده فيصل جاسم ، وهو يسترجع أيام الطفولة بذكرياتها الجميلة التي هي نقيض الواقع المعيش:

بعيداً عن الروحِ
أرتد نحو الطفولة

أبكي إذا حدّثتني الملاعبُ

والطائراتُ

وأبكي إذا ما جلستُ إلى جدتي[٥٠]

ينهض النص على خطاب الذاكرة عن طريق الحفر في ذكريات الطفولة بوصفها عملية عقلية خاضعة لمنطق ذهني معرفي بالدرجة الأولى ؛ لأنّ الحديث عن ذكريات الطفولة سيضعنا لامحالة قبالة الفهم الابستملوجي في تحديد أهمية الفكر القبلي، إذ تستند البنى الابستمولوجية في النص على إبراز فاعلية العقل في الكشف عن مدى علاقة الزمن الماضوي وعالمه الجميل بالزمن الآني وعالمه الكئيب والحزين، ويظهر ذلك في عودة الشاعر إلى المستودع الذاكراتي المخزون عن أيام طفولته الجميلة، محاولاً بذلك الوصول إلى ما تختزنه الذاكرة من عمق معرفي يفسر الذات على وفق نظام علائقي يجمع بين الزمنين السابق واللاحق؛ ولفهم طبيعة هذه العلاقة اعتمد الشاعر على استحضار أشياء بذكرياتها وأحداثها(الملاعب، الطاءرات، حديث الجدة) ذكريات الماضي؛ لأن هذه الأشياء تعكس بالنسبة للإنسان ((صورة عن نفسه هو، تذكره بنفسه وبماضيه ...إن عالم الأشياء الذي يعيش فيه الإنسان يتضمن فهرساً للزمن يشير في ارتباطه بالحاضر إلى طبقات مختلفة من الماضي)) [٥١]، فالارتداد إلى الماضي انفعال للقوى الذهنية يذعن فيه العقل بشكل واعي ليتحرر من الحاضر، ويبدو ذلك في النص الشعري عندما يحاول الإنسان التجرد من الروح في محاولة التخلص من الواقع، وهذا الأمر يضع المتلقي أمام أمرين : أولهما، إنّ الحاضر كان مؤلماً وقاسياً مما جعله يفكر بمغادرته، والثاني: يرى أن الماضي أفضل للذات الشاعرة من الحاضر؛ لهذا يعود له ويتمسك به. ومهما يكن الأمر فإنّ النصّ يوحي بفاعلية الذاكرة وحضورها الذهني، وهو حضور ابيستمولوجي، فقد سأمت الذات حاضرها، مما جعلها تركن في مساحة معينة من العقل لتعقد مقارنة بين زمنين ترى في الماضي حضوراً خلاف الحاضر الذي كان حزيناً، فذكريات الطفولة وملاعب صباه وتسامره مع جدته كلها ومضات اكتنزتها ذاكرته، فكانت هذه الذكريات تتناقض وتتضاد مع أفق اللحظة الراهنة، ولا شكّ أنّ استرجاع أحداث الماضي له وقع عظيم في كينونة الذات، لهذا نجدها ترتبط بالحنين للحظات السعيدة التي كان يعيشها؛ ولهذا جاء خطاب الذات للآني ممتزجاً بالبكاء والحسرة والألم على أيامه الجميلة التي مضت ولم يبقّ منها شيء.

وإنّ لجوء الشاعر السبعيني إلى الذكريات الجميلة يكون بوعي قصدي يهدف منه التخلص من آلام الزمن الآني من جانب؛ ولأن الذاكرة تمثل((صدى الذات وخزينها الابستمولوجي الذي تركن

إليه كلما شعرت بقسوة الزمن))[٥٢]، ومن جانب آخر فهي تزوده بالصور الذهنية التي يربط بوساطتها بين الماضي والحاضر :

أيتها الذكرى الجميلة..

في العمق منك، ألوّح لك بيديّ العاريتين

أنا الذي تسمّمت حياته...

وسأفترض... بداية أخرى [٥٣]

إنّ البحث في دائرة الذكريات إنّما هو إمكان ابستمولوجي، بيد أنّ هذه الذكريات هي شرط إمكان الحاضر ((فلا بدّ للفكر من بناء الزمن حول حدث في الوقت ذاته الذي ينشأ فيه الحدث حتى تسترجع هذا الحدث في ذكرى الزمان الغائب. فمن دون العقل، تكون الذاكرة ناقصة وعاجزة))[٥٤]، فهي من شأنها أنّ تمنح إضاءة حول فهم ماهو آني بالنظر لما هو قبلي تتحدد الذكريات الجميلة بسايكولوجية الذات ووعيها بالحاضر المؤلم الذي يصفه الشاعر بالمتسمم، حيث نجد ثمة تضاداً بين الزمن الماضي والزمن الحاضر؛ وبما إنّ ((إدراك الماضي لا يتم إلاّ من خلال الحاضر عن طريق عملية الاسترجاع المتمثلة في الذاكرة)) [٥٥]، وإن للذكريات قيم روحية؛ لهذا تبقى كامنةً وموجودةً في النفس الإنسانية تسترجعها بين حين وآخر، لما تولّده من شعور بالحنين والاستئناس على ما مضى من الأيام الجميلة، فشكلت الذكريات محطة زمنية وقف عندها الشاعر، فمثّلت العودة إليها عودة إلى بداية جديدة للانطلاق في عوالم تتوافق مع الذات وتوجهاتها، وبذلك كان الرجوع لما مضى من الزمن ليس حنيناً وشوقاً بقدر ماهو رجوع يحقق الولادة الجديدة للذات، فيحاول بناءها بكل معاني الجمال التي كانت موجودة من قبل واختفت ولم تعدّ موجودة في الزمن الآني، وبهذا أصبحت الذكريات تحقق الاتصال مع الزمن القبْلي والزمن الحاضر، فعندما استحضر الشاعر الذكريات، فهذا يعني إنّ الشاعر يعي كل الوعي باختلاف الزمنين، فيحاول الجمع بينهما ليعوض ماتفتقده الذات في حاضرها.

وبحضر الفكر القبلي في دائرة الوعي المدركة لزمنيين زمن الماضي المتمثل بالطفولة وزمن الحاضر المتمثل بالكبر ، فهما يشكلان محطات متصلة في دورة الحياة:

لمولايَ

عمرٌ طويل

بدايتُه صيحةٌ في الطفولهْ

وآخره كِبَرٌ لا يخون[٥٦]

يستند النص على محمولات إبستولوجية تتمثّل بالمسافة الزمنية المحصورة بين الطفولة والكبر، وهذا ما جعل المتلقي يشعر منذ الوهلة الأولى يشعر بهذه المسافة التي تقوم على أسس علمية خالصة، تتضمن فكرة استجلاء مكامن المعرفة عند الإنسان في دورة حياته عندما قال: (لمولاي

عمر طويل)، إذ يشير إلى دورة الحياة التي تبدأ بمراحل متنوعة ومختلفة، فالوجود يبدأ رحلته الأولى مع الإنسان مع الصيحة الأولى؛ لأن اللحظة الأولى من حياة الإنسان تبدأ بصيحة، ويرى العلماء إنّ هذه الصيحة تمثل نقطة البداية فيما يتعلق بمعرفة العالم الخارجي والإحساس بالخوف والتوتر والقلق من المجهول، فالصرخة التي يطلقها الطفل لدى ولادته هي أول بادرة من بوادر قدرته على تمييز الاختلاف بين العالمين عالم الرحم الذي كان فيه والعالم الذي خرج إليه[٥٧]، وبذلك فهي الانطلاقة الحقيقية والأولى لفكر الإنسان في تعرفه على العالم وما حوله، وفي هذه اللحظة تنفتح مدارك الطفل في استيعاب العالم الجديد الذي انتقل إليه، ومن ثم يبدأ التتابع الفكري والولادة الحقيقية، وقد تكون هذه اللحظة محطة من محطات الوجود الإنساني على اختلاف مراتبه، وحقيقة الأمر إنّ الفكر القبْلي للإنسان راسخ بشكل علمي يستحضره متى ما أراد ذلك الحضور المعرفي أو الوجودي، وقد أثبت العلم أنّ الصيحة الأولى هي الانطلاقة الحقيقية للإنسان في دورة الحياة، فمهما طال الزمن فهي رحلة عابرة تترسخ في عقل الإنسان ووجوده؛ لأنّ البوادر الأولى للمعرفة تبدأ في مرحلة الطفولة، ومن ثم تتطور كلّما تقدّم به العمر، فكلّ مرحلة من مراحل الإنسان تسهم في بناء التفكير العقلي؛ لأن معرفته هي معرفة مستمرة لا تنقطع تنمو تدريجياً من أول لحظات عمره إلى آخر لحظاته في الكبر، وبذلك فالمعرفة هي سلسلة متواصلة الحلقات تبدأ بمرحلة الطفولة وتستمر في تطورها حتى مرحلة الكهولة، وهذا ماجعل الشاعر يصف آخر عمر الإنسان كبر لا يخون أي كلّما كبر الإنسان تزداد معرفته بالأمور، وهذا ما أكّده جان بياجيه في ابستمولوجيته التكوينية التي جعلت من النمو المعرفي العقلي مكانة مهمة في الابستومولوجيا، حينما رأى أنّ المعرفة الإنسانية في حالة تطورية مستمرة على الدوام[٥٨]، حيث ربط المستوى المعرفي بمراحل العمر، فالمعرفة عنده في حالة نمو وبناء، ينتقل فيها الفكر الإنساني من مستوى إلى آخر، فبداية مراحل الطفولة تكون المعارف قليلة الجودة وكلّما تقدم بالعمر تتطور هذه المعرفة إلى معارف أعلى [٥٩]،وبهذا يكون الزمن الآني متصلاً بديهياً بالفكر القبْلي الذي يمتد بشكل متتابع من زمن الطفولة إلى زمن الكبر.

ويظهر التفكير القبْلي وفاعليته في الزمن الآني عبر مشاعر الندم ؛ لأن الندم يوحي بوجود زمنيين زمن ماضي وزمن آني، فلحظة الندم عند الإنسان لا تتولد إلاّ بعد مرور أحداث سابقة لها:

تتذكرين، لابدّ أن تتذكري.. إنّ ما أقوله
الآن..قد قلتهّ من قبل، يوم قلتُ للندم.. أيّها
الندم، أيّها الصباح اليوميُّ لا تخذلني، أنني
طفلك الخائف ، فخذ بيدي، خذ بيدي، أيّها[٦٠]

يقوم النص على مبدأ التذكر والتلازم الفكري بين أمرين، أحدهما يرتبط بالفكر القبْلي والآخر بالفكر الآني المرتبط بالبعد القبلي، فعملية الندم عملية معرفية تقوم على أسباب منطقية أحدهما يرتبط بالماضي والأخرى بالزمن الآني، الذي هو خلاصة التتابع المعرفي بين منظومتين معرفيتين؛ لأن فكرة الخذلان كانت ملازمة للذات الشاعرة، وهي حاصلة بطبيعة الحال وتبحث عنه بشكل كبير، فالشاعر في نظرته للحاضر لم يتجاوز حدود الماضي، فالحاضر لا يحقق ذاته إلاّ بالعودة للماضي، فشعوره بالندم يخضع لتأثير أحكام مسبقة وتراكم معرفي يهيمن على ذهنية الذات، إذ إنّ إدراك لحظة الندم يتضمن إحساس الفرد باللوم النفسي حيال فعل ما حدث وانتهى وظل ماثلاً وعالقاً في الذاكرة[٦١]، وعليه فإن عملية الندم هي عملية لا يمكن أن تكون آنية ومستقلة، أي لا تقوم بنفسها، بل بتتابع معرفي متصل بها، فهي ترتبط بمقدمات سابقة لولادة لحظة الندم، وبذلك فإن الندم يقوم على قواعد ابستمولوجية تتمثل بالفكر القبْلي التي ارتكزت عليها لحظة الندم، ومن ثمّ تأسست عليها ونتجت بسببها؛ لأن الشعور بالندم يصرف الذهن إلى تحولات سابقة لهذا الشعور، وبذلك فإنّه لا يمكن أنْ يكون إلاّ بوجود فعل سابق له، وهذا الفعل هو الذي يحث على ولادته، وهذا يقودنا إلى القول: إنّ هناك علاقة تفاعلية بين إدراك اللحظة الراهنة المتمثلة بلحظة الندم وبين الذكريات السابقة للحظة الندم، وبذلك فإنّ علاقة الإنسان بالفكر القبلي تعد في أحد جوانبها علاقة ابستمولوجية، فبقدر ارتباط اللحظة الآنية بالذكريات الماضوية تنمو البنية المعرفية لدى الإنسان، وعليه فإن ولادة شعور الندم مرتبط بحلقات متتالية من سلوك الفرد وعلى وفق ذلك ((تكون الأفعال السابقة في سلسلة سلوك ممهدة بطبيعتها للأفعال اللاحقة))[٦٢]، وهنا يتأكد ارتباط إدراك الندم بالذكريات التي جمعت أنماط إدراكية متسلسلة حتى وصلت إلى مرحلة الخذلان ومن ثمّ الندم، وهي نفسها الوظيفة الابستمولوجية التي تؤكد خاصية الفكر القبْلي ودوره في بناء اللحظة الآنية؛ لأن الذات هنا استعانت بالأفكار السابقة واسترجعتها لتشكل معرفة عن الوقت الآني، فمهمة الذاكرة قامت باسترجاع معطيات مما سبق من شأنها أن تعيد بناء معرفة جديدة.

وكما تمثّل الخيانة جانباً آخر من جوانب الارتباط بالفكر القبْلي والآني في آن واحد، إذ يبيّن النص لحظة ولادة العاطفة الحقيقية ومن ثم المتغيرات التي حصلت:

أذكرُ يومَ تقابلنا

عند حدودٍ نجهلها الآن تماماً

إن يديك توسدتا قلبي

كنت تخطيّنَ القارئة المقتل

أشكالاً أخرى

فيدور النعي حوالينا...

ويظل النعي يكحلُ أجفانَ
المشدودات بحبلٍ واحدْ[٦٣]

جاء الحاضر ملتصق بالماضي في علاقة تفاعلية قائمة على الإدراك الواعي، حيث عرض الشاعر أمرين مهمين لزمنين مختلفين استحضرهما بالعقل القبْلي للزمن وعلاقة الزمن السابق بالآني، إذ بيّن الولادة الحقيقة لعلاقة عاطفية والمتغيرات التي حصلت، فإن النص يومي بدلالة وجود إشكالاً أخرى غير الحب والمودة التي تجمعهما، إشكالاً سوف تكون سبباً في حزنهما مدى الحياة. لقد عرض الفكر الذاتي برؤية معرفية تامة ؛ لأن الأصل كان في معرفة ما سيحصل قبل حصوله، ويقيناً أنّ ذلك الأمر يعتمد على مسوغات علمية منها الشعور بالآخر أو بعض الإيحاءات التي يمكن تلمسها على أنّها تحمل بعداً ابستمولوجياً، ويظهر ذلك بإبراز المعرفة المتمثلة بسايكولوجية الذات والآخر والشعور المتولد لدى الذات تجاه الآخر، إذ تولد عند ذات الشاعر شعور وحدس بعدم الاطمئنان تجاه محبوبته، ويمثل الحدس والشعور نوع من أنواع المعرفة، وقد أكد برجسون على مكانة الحدس والشعور في تأسيس المعرفة اليقينية، إذ تعتمد المعرفة عنده على أمور الباطنية و الوجدانية[٦٤]، وبما أنّ الشعور علامة دالة حسياً ومعرفياً ، وتزداد هذه العلامة بالفاعلية الإدراكية، بدليل أنّ الشاعر اتكأ عليها في بناء معرفته بما يحسه تجاه محبوبته، فاسترجع ذكريات لحظة اللقاء بينهما، ففي اللحظة الأولى شعرت الذات بعدم الارتياح؛ لذلك نجد الشاعر يصف محبوبته بأنّها تخط له طريقاً لمقتل العاطفة بينهما، فالأفق المتوقع من قبل الذات كان رهيناً للشعور المتولّد في لحظة اللقاء، وظلت الذات متعلقة بذكرى تلك اللحظة، مما ولد مشاعر القلق وعدم الأمان تجاه الآخر، وترجمت تلك اللحظة الأولية التوترية بتوقع نهاية هذا الحب؛ لذا وصف الفضاء الذي يسود هذه العلاقة فضاءً حزيناً يملؤه النعي والبكاء، وعليه فإن عملية المعرفة التي وصلت إليها الذات، كانت في الأعم الأغلب ذات أبعاد معرفية قائمة على الحدس والوعي بالعلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر في الحكم على العلاقة التي تجمع بينه وبين محبوبته؛ لأنّ ذلك الإدراك الحدسي نشأ منذ اللقاء الأول (اللحظة الأولى)، فالذاكرة عملت على إعادة لحظة اللقاء على وفق الرؤى الإستباقية حتى وصلت الذات إلى وعيها التام وقرارها النهائي بعدم إمكانية استمرار هذا الحب .

وقد يرتبط الفكر القبلي بالزمن الآني عن طريق توالي الأحداث وتكرارها عبر الزمن:

القلوب معكْ
والسيوف..
عليكْ..
لا تأمنْ..
لا..

لا تأمن..

_ في أسواق جنيف

رأيت..

أبا رغال

يستنسخ _ طبق الأصلِ _

شهادة غدر آخرْ. (٦٥)

يحقق الخطاب الشراكة بين الزمن الماضي والزمن الحاضر، حيث تطغى فيه الخيانة القديمة على خيانات الزمن الآني، وتحل محلها بل امتدت معها إلى أن تلمس الشاعر وجوداً مستمراً لها في بلاد الغربة، فالذاكرة ربطت بين فعل الخيانة الراسخ في الفكر القبْلي المتمثل في خيانة أبي رغال وبين الحاضر وشعور عدم الثقة بالآخرين،فصورة الخيانة التي يحملها الواقع تمثل صدى من ارتدادات الماضي نحو الحاضر، فحفريات الذاكرة ظلت ممتدة من الزمن القبْلي واستمرت في سيرها من دون انقطاع في الزمن الآني، فعلى الرغم من أنّ هذا الحدث هو ماضوي إلاّ أن صياغته مازالت تعاد وتتكرر في الزمن الآني، فعلاقة الفكر القبلي بالزمن الآني تحققت من العقل الواعي لعملية تكرار فعل الخيانة المتجذر في الماضي ومتنامي في الحاضر .

الخاتمة:

ارتبط الفكر القبْلي في الخطاب الشعري السبعيني برؤى معرفية مارسها الشاعر من ارتداده لذكريات الماصي بفعل قصدي لتجاوز مرارة الواقع الإنساني المعيش إلى واقع أفضل، فكان الرجوع إلى الزمن الماضي، هو الملاذ الوحيد للخلاص من ضعوطات الحياة، وبذك كان الفكر القبْلي محطة رئيسة وقف عندها الخطاب السبعيني ليعيد صياغة الزمن على ضوء آماله.

هوامش البحث

١) سيكولوجية الخبرة، يوسف ميخائيل أسعد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م: ٢٧.

٢) النقد المعرفي نحو إبدال منهجي، محمد عبد الله عروس، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب– جامعة الموصل، العدد٨٦، ٢٠٢١م: ١٥٥.

٣) مقال عن المنهج ، لأحكام قيادة العقل والبحث عن الحقيقة في العلوم: ٣.

٤) ينظر: الشعر والوجود عند هيدغر، كرد محمد، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجمهورية الجزائرية،٢٠١٢م:٥١.

٥) ينظر:الابستيمولوجيا المعاصرة:١٤٠

٦) المصدر نفسه: ١٦١.

٧) ينظر: من تجليات الذاكرة، دراسات في النصوص العراقية، نادية غازي العزاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- العراق، ط١، ٢٠٠٥م: ٥.

٨) الأسلاف: ١٦-١٧.

٩) شاعرية أحلام اليقظة: ٨٧.

١٠) الملاك يتبعه حشدٌ من الأمراء:٢٢.

١١) أدباء من الشرق والغرب، من الأدب المقارن،عيسى الناعوري، منشورات عويدات، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٦٦م:٣٣.

١٢) نقد العقل المحض: ٦٨.

١٣) سفر على رمال الجزيرة،: ٦٦- ٦٧.

١٤) التجربة الشعرية العربية، دراسة إبستمولوجية للسيرة الذاتية لشعراء الحداثة: ١٤٨.

١٥) جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٨٤م: ٣٦.

١٦) المصدر نفسه: ٣٩.

١٧) الأفق التأويلي الفينومينولوجي في تجربة المخضرمين الشعرية، حسن سعد لطيف، الدار المنهجية للنشر والتوزيع،عمان- الأردن، ط١، ٢٠٢٠م: ٦٣.

١٨) الشرفة الثالثة، عبد المطلب محمود، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م: ٩٧.

١٩) البحث عن الذات، دراسة في الشخصية ووعي الذات، إغور كون، ترجمة: غسان نصر، دار معد للنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٢م، ٢٩.

٢٠) سيدة الفجر: ٩٥.

٢١) حقول علم النفس الفيزيولوجي، محمد زيعور، دار الفكر العرب، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٢م: ١٦٢.

٢٢) الابستيمولوجيا المعاصرة: ٤٢٢.

٢٣) يوم لإيواء الوقت، جواد الحطاب، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد- العراق، ط١، ١٩٩٢م: ٨٧.

٢٤) دور التقانة والأسطورة في ولادة العلم، محمد وائل بشير الأتاسي، مجلة المعرفة، الجمهورية العربية السورية، العدد ٤٦٠، ٢٠٠٢م: ١٩.

٢٥) ينظر: متون سومر، خزعل الماجدي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط١، ١٩٩٨م: ٣١٥.

٢٦) الشرفة الثالثة: ١٨٧.

٢٧) الذاكرة التاريخ النسيان، بول ريكو، ترجمة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٩م: ١٦١.

٢٨) دراسات وأبحاث تراثنا في الكون شذرات من خطاب في المستقبل، رشيد بوطيب، تبيُّن، العدد٣٣، ٢٠٢٠م، ٥٩.

٢٩) الذاكرة التاريخ النسيان: ٦٤٤.

٣٠) المصدر نفسه: ٦٤٤.

٣١) من أجل توضيح إلتباس القصد: ٦٥.

٣٢) هيغل والفن، جيرار برا، ترجمة: منصور القاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٣م:٨٦.

٣٣) الذاكرة التاريخ النسيان، بول ريكور: ١٦٠.

٣٤) الذاكرة أسرارها وآلياتها، لورون بّوتي، ترجمة: عز الدين الخطابي، مراجعة : فريد الزاهي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي– الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠١٢م: ١٣.

٣٥) يقظة دلمون: ١٠٣.

٣٦) التخييل والشعر، حفريات في الفلسفة العربية الإسلامية، يوسف الإدريسي، منشورات ضفاف، بيروت – لبنان ، ط١، ٢٠١٢م:١٤٩.

٣٧) نظرية المعرفة في الفكر الفلسفي العربي المعاصر، مصر والعراق، صباح حمودي المعيني، بيت الحكمة ، بغداد– العراق ، ط١، ٢٠٠٩م: ٦١.

٣٨) ينظر: الذاكرة والهوية، جويل كاندو ، ترجمة: وجيه أسعد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق– سورية،٢٠٠٩م:٩.

٣٩) أناشيد السكون، فاروق يوسف، وزارة الثقافة والإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد– الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م: ٧١.

٤٠) الزمن بين العلم والفلسفة والأدب، إميل توفيق، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط١، ١٩٨٢م،٩٢.

٤١) أصل العمل الفني، مارتن هايدغر، ترجمة: أبو العيد دودو، منشورات الجمل، كولونيا– ألمانيا، ط١، ٢٠٠٣م:١٣ .

٤٢) ينظر: الإبستيمولوجيا المعاصرة:١٧٩.

٤٣) الابستيمولوجيا المعاصرة: ١٩٩.

٤٤) العقلانية التطبيقية ، باشلار: ٢٨.

٤٥) ينظر: الخيال الأسلوب الحداثة، جابر عصفور، المركز القومي للترجمة، للقاهرة– مصر، ط٢، ٢٠٠٩م: ٩.

٤٦) الأسلاف : ٤٦.

٤٧) الابستيمولوجيا المعاصرة: ١٥٣.

٤٨) ينظر: الذاكرة الهوية: ٧٠.

٤٩) الابستيمولوجيا المعاصرة: ١٧٨.

٥٠) الأسلاف: ٢١.

٥١) الذاكرة الحضارية، الكتابة والذكرى والهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأولى، يان أسمن، ترجمة: عبد الحميم عبد الغني رجب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة- مصر، ط١، ٢٠٠٣م، ٣٦.

٥٢) شعرية الفضاء عند أديب كمال الدين، قراءة تأويلية،هيفاء جواد السهلاني، أبجد للترجمة والنشر والتوزيع، بابل- العراق، ط١، ٢٠٢٣م: ١٣٧.

٥٣) وهذا صحيحٌ أيضاً، حميد قاسم، دار الساقي، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٨م : ٤٢.

٥٤) جدلية الزمن، غاستون باشلار، ترجمة: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٣، ١٩٩٢م: ٦٣.

٥٥) مفهوم المكان والزمن في فلسفة الظاهر والحقيقة، دراسة في ميتافيزيقا برادلى، محمد توفيق الضوى، منشأة المعارف الإسكندرية، ٢٠٠٣م: ٧٢.

٥٦) يقظة دلمون: ٥٧.

٥٧) ينظر: تأثير الصورة الجسمية والجانبية على اكتساب اللغة الشفهية عند طفل سبع سنوات، أسماء مسعي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، ٢٠١٥م:٣٦.

٥٨) الإبستمولوجيا التكوينية : ٣٥.

٥٩) ينظر: المصدر نفسه :١٣.

٦٠) متحف لبقايا العائلة، كمال سبتي،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق، ١٩٨٩م: ٨٠.

٦١) ينظر: مرآة الذاكرة بين الفلسفة والأدب، دراسة تحليلية نقدية مقارنة، ناهد إبراهيم محمد، ٢٠١٥م : ١٩٧.

٦٢) الابستمولوجيا المعاصرة: ١٣٨.

٦٣) أيها الوطن الشاعري، صاحب شاهر، دار الحرية للطباعة، بغداد- العراق، ١٩٨٠م:٦٤-٦٥.

٦٤) ينظر: إبستمولوجيا التأويل: ٣٩.

٦٥) سلاماً أيها الفقراء، جواد الحطاب، دار الحرية للطباعة ، بغداد– العراق، ١٩٧٨م، ١٢٨–١٢٩.

المصادر:

المجموعات الشعرية:

- الأسلاف، فيصل جاسم، دار الرشيد، منشورات الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨١م.
- أناشيد السكون، فاروق يوسف، وزارة الثقافة والإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد– الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م.
- أيها الوطن الشاعري، صاحب شاهر، دار الحرية للطباعة، بغداد– العراق، ١٩٨٠م.
- سفر في رمال الجزيرة، مرشد الزبيدي، وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٥م : ٤٤.
- سلاماً أيها الفقراء، جواد الحطاب، دار الحرية للطباعة ، بغداد– العراق، ١٩٧٨م.
- سيدة الفجر، جبار الكواز، دار الحرية للطباعة، بغداد– العارق، ١٩٧٨م،٢٦.
- الشرفة الثالثة، عبد المطلب محمود، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.
- متحف لبقايا العائلة، كمال سبتي،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق، ١٩٨٩م.
- الملاك يتبعه حشد من الأمراء، فاروق يوسف، دائرة الشؤون الثقافية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٤م.
- من أجل توضيح إلتباس القصد، زاهر الجيزاني، دار الرشيد للنشر، بغداد، ط١، ١٩٨١م: ٩٦.
- وهذا صحيحٌ أيضاً، حميد قاسم، دار الساقي، بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٨م .
- يقظة دلمون، خزعل الماجدي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيوت، ١٩٨٠م.
- يوم لإيواء الوقت، جواد الحطاب، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد– العراق، ط١، ١٩٩٢م.

المصادر والمراجع:

- إبستمولوجيا التأويل، محمد علي حسين الحسني، الرافدين، لبنان– بيروت–ط١، ٢٠١٦م.
- الإبستمولوجيا التكوينية، جان بياجيه، ترجمة: السيد نفادي، مر: محمد علي أبو ريان، دار التكوين، دمشق، ٢٠٠٤م.
- الابستمولوجيا المعاصرة،وبنائية فنون تشكيل مابعد الحداثة، جنان محمد أحمد، مكتبة الفنون والآداب والنشر والتوزيع، البصرة– العراق، ط١، ٢٠١٤م.

- أدباء من الشرق والغرب، من الأدب المقارن،عيسى الناعوري، منشورات عويدات، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٦٦م:٣٣.
- أصل العمل الفني، مارتن هايدغر، ترجمة: أبو العيد دودو، منشورات الجمل، كولونيا– ألمانيا، ط١، ٢٠٠٣م.
- الأفق التأويلي الفينومينولوجي في تجربة المخضرمين الشعرية، حسن سعد لطيف، الدار المنهجية للنشر والتوزيع،عمان– الأردن، ط١، ٢٠٢٠م.
- البحث عن الذات، دراسة في الشخصية ووعي الذات، إغور كون، ترجمة: غسان نصر، دار معد للنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٢م.
- التجربة الشعرية العربية، دراسة إبستمولوجية للسيرة الذاتية لشعراء الحداثة، هشام محمد عبدالله، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان –الأردن، ط١، ٢٠١٤م.
- التخييل والشعر، حفريات في الفلسفة العربية الإسلامية، يوسف الإدريسي، منشورات ضفاف، بيروت – لبنان ، ط١، ٢٠١٢م.
- جدلية الزمن، غاستون باشلار، ترجمة: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٣، ١٩٩٢م.
- جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.
- حقول علم النفس الفيزيولوجي، محمد زيعور، دار الفكر العرب، بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.
- الخيال الأسلوب الحداثة، جابر عصفور، المركز القومي للترجمة، للقاهرة– مصر، ط٢، ٢٠٠٩م.
- الذاكرة أسرارها وآلياتها، لورون بّوتي، ترجمة: عز الدين الخطابي، مراجعة : فريد الزاهي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي– الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠١٢م.
- الذاكرة التاريخ النسيان، بول ريكو، ترجمة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة،بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.
- الذاكرة الحضارية، الكتابة والذكرى والهوية السياسية في الحضارات الكبرى الأولى، يان أسمن، ترجمة: عبد الحميم عبد الغني رجب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة– مصر، ط١، ٢٠٠٣م.
- الذاكرة والهوية، جويل كاندو ، ترجمة: وجيه أسعد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق– سورية،٢٠٠٩م.
- الزمن بين العلم والفلسفة والأدب، إميل توفيق، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط١، ١٩٨٢م.

- سيكولوجية الخبرة، يوسف ميخائيل أسعد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- شاعرية أحلام اليقظة ، غاستون باشلار، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت– لبنان،ط١، ١٩٩١م.
- الشعر والوجود عند هيدغر، كرد محمد، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجمهورية الجزائرية،٢٠١٢م.
- شعرية الفضاء عند أديب كمال الدين، قراءة تأويلية،هيفاء جواد السهلاني، أبجد للترجمة والنشر والتوزيع، بابل– العراق، ط١، ٢٠٢٣م.
- العقلانية التطبيقية ، باشلار، ترجمة : بسام الهاشم،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٨٤م.
- متون سومر، خزعل الماجدي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، ط١، ١٩٩٨م.
- مفهوم المكان والزمن في فلسفة الظاهر والحقيقة، دراسة في ميتافيزيقا برادلى، محمد توفيق الضوي، منشأة المعارف الإسكندرية، ٢٠٠٣م.
- مقال عن المنهج لأحكام قيادة العقل والبحث عن الحقيقة في العلوم، رينيه ديكارت، ترجمة: محمود مجمد الخضيري، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٩٣٠م.
- من تجليات الذاكرة، دراسات في النصوص العراقية، نادية غازي العزاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد– العراق، ط١، ٢٠٠٥م.
- نظرية المعرفة في الفكر الفلسفي العربي المعاصر، مصر والعراق، صباح حمودي المعيني، بيت الحكمة ، بغداد– العراق ، ط١، ٢٠٠٩م.
- نقد العقل المحض، عمانوئيل كانط، ترجمة: موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، بيروت– لبنان، ط٢، ١٩٨٨م.
- هيغل والفن، جيرار برا، ترجمة: منصور القاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

الرسائل والأطاريح:

- تأثير الصورة الجسمية والجانبية على اكتساب اللغة الشفهية عند طفل سبع سنوات، أسماء مسعي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، ٢٠١٥م.

الدوريات:

- دراسات وأبحاث تراثنا في الكون شذرات من خطاب في المستقبل، رشيد بوطيب، مجلة تبيُّن، العدد٣٣، ٢٠٢٠م.

- دور التقانة والأسطورة في ولادة العلم، محمد وائل بشير الأتاسي، مجلة المعرفة، الجمهورية العربية السورية، العدد ٤٦٠، ٢٠٠٢م.
- النقد المعرفي نحو إبدال منهجي، محمد عبد الله عروس، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب– جامعة الموصل، العدد٨٦، ٢٠٢١م.
- مرآة الذاكرة بين الفلسفة والأدب، دراسة تحليلية نقدية مقارنة، ناهد إبراهيم محمد، ٢٠١٥م .